﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ [الكهف: 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد جعل الزّينةِ للابتلاء يجعلها الباري قاعًا صفصفًا

لمّا بيَّن النَّظمُ الجليل أنَّ الله تعالى جعل ما على الأرض زينةً لها ولأهلها؛ أتبعَ ذلك بأنَّه سبحانه تعالى مبيدٌ لذلك كلِّهِ ومُفنيه[1]، وهذا الإخبارُ مِن تمام التَّسلية، فالإخبارُ بأنَّ ما على الأرض زينة لها، ثمَّ الإخبار بأنَّه سيؤول إلى تراب يَجعلُ التَّسلية أجدى وأبلغَ، ومِنَ المناسبة أنَّه عقَّب على تأسُّف النَّبيِّ ﷺ بأنَّ الحساب سيكون يوم البعثِ، فذكرَ ما يبيِّن شمولَ قدرته على إعادة الخلائق، كما ابتدأهم، ولمّا كان ذلك غائبًا عنِ الأذهان، ومستورًا عنِ العقول بهوى النفوس؛ نبَّه عليه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَعِيدًا﴾: (صعد) أصلٌ يَدلُّ على ارتفاعٍ ومَشَقَّةٍ، فَأَمّا الصَّعيدُ؛ فَهو: وجهُ الأَرضِ، والمَكانُ عَلَيهِ تُرابٌ أَو لَم يَكُن[3]، يُقالُ للحَديقَةِ؛ إِذا خَرِبت، وذَهَبَ شَجَراؤُها: قَد صارَت صَعيدًا، أي: أرضًا مُستَوِيَةً لا شَجَرَ فيها[4]، والصَّعيدُ يُقال لوجه الأرض، وللغبار الذي يَصعَدُ من الصُّعودِ، ولهذا لا بدَّ للمتيمِّم أن يعلقَ بيده غبارٌ، قال: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: 43][5]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾، "أي: ترابًا بأن نُهلكَ تلك الزّينة بإزالة اخضرارها، فيزولُ

(1) القنّوجي، فتح البيان: 8/ 13.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 14.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صعد).
(4) ابن منظور، اللسان: (صعد).
(5) الرّاغب، المفردات: (صعد).

المانع مِن استيلاء الترابِ عليها، ثم نُسلِّط عليها الشُّموس والرياح، فيردُّها بذلك إلى أصلها ترابًا"[1].

2) ﴿جُرُزًا﴾: (جرز) أصلٌ يدلُّ على القَطْعِ، يُقالُ: جَرَزْتُ الشَّيءَ: قَطَعتُهُ، وسَيفٌ جُرازٌ، أيْ: قَطّاعٌ، وأَرْضٌ جُرُزٌ لا نَبْتَ بِها، كَأَنَّهُ قُطِعَ عَنها[2]، أو انقطع عنها المطر[3]، قال ﷺ: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾، أي: مُنقطع النَّبات مِن أصلِه، وأرض مَجْروزَة: أُكِلَ ما عليها[4]، وذهب نباتُها، وبقيت لا شيءَ فيها ولا نفع[5]، أي: يجعل اللّهُ تعالى الأرض صعيدًا "يابسًا لا نبات فيها بعد أن كانت خضراءَ معشبةً"[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُخبر النَّظمُ الجليل مؤكِّدًا أنَّ اللّه تعالى بعظمته وجلاله سيجعل ما على الأرض مِن تلك الزّينة عند انقضاء الدُّنيا ترابًا، لا نبات فيه، والمعنى: أنَّ الحساب آتٍ، وأنَّه لا بدَّ مِنَ المجازاة والفصل بين العباد[7]، وفي الآية تسلية النَّبيِّ ﷺ؛ "كأنَّه قيل: لا تحزن عليهم، فإنَّه لا عليك أن يهلكوا جميعًا؛ لأنّا نُخرج جميعَ الأسباب مِنَ العدم إلى الوجود للابتلاء، ثم نُفنيها، ولا حيف ولا نقص، أو لا تحزن، فإنّا مُفنون ذلك ومُجازون لهم بحسب أعمالهم"[8].

الـوعـدُ بجعل تلك الزينةَ كأن لـم تكن إنـذارا وتخويفا

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ عطف جملة ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ﴾ على ما قبلَها:

الجملة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾

إفـنـاءُ الحياة على الأرض بعد تـزيـيـنـهـا مِـن تـمـام التَّسلية والاعتبار

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 14.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جرز).
(3) الجوهري، الصحاح: (جرز).
(4) الرّاغب، المفردات: (جرز).
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 497.
(6) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 287.
(7) القنّوجي، فتح البيان: 8/ 14، وجماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 294.
(8) القاسمي، محاسن التأويل: 7/ 7.

معطوفةٌ على الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾[1]؛ لأنَّ هذه الجملة تكميلٌ للعبرة وتحقيق لفناء العالم، أي: سنحوِّلُ الزّينةَ التي على الأرض إلى تراب قاحل، فلا يكون على الأرض إلّا التُّراب الجافُّ الأجرد الذي لا يصلحُ للحياة، وهذا هو فناءُ العالم[2].

سرُّ تَكرارِ (إنّا) في الآيات:

تـأكـيـدُ الـوعـد المستقبليّ ممتازٌ عن تأكيد الفعلِ الماضي

كرَّر النَّظمُ الجليل (إنّ) في الجملة المعطوفة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ دون أن يقولَ: (ولجاعلون)؛ لتستقلَّ كلُّ جملة من الجملتين بمؤكِّد خاصٍّ، تقوية للتَّأكيد، وتحقيقًا للمضمون، فالإخبار الأوَّل جاء بالفعل الماضي ﴿جَعَلْنَا﴾، والإخبار الثّاني جاء بصيغة المستقبل الدّالِّ عليها اسم الفاعل ﴿لَجَٰعِلُونَ﴾، فيكون تأكيد الحدثين الماضي والمستقبل تأكيدًا لحقيقة الحياة التي بُنيت على الإيجاد أوَّلًا ثم الإفناء ثانيًا، إيماء إلى انتفاء دوامها.

دلالةُ اللام والتعبير باسمِ الفاعل ﴿لَجَٰعِلُونَ﴾:

نـهـايـةُ الـحـيـاةِ حقيقةٌ مؤكَّدة ووعد محقَّقٌ

عبَّر النَّظمُ الجليل عن مآل الأرضِ باسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ ذلك كائنٌ في المستقبل[3]، وإنَّما جيء باسم الفاعل بصيغة الجمع تبعًا لضمير التَّعظيم ﴿وَإِنَّا﴾، ولم يعبِّر بالفعل بأن يقول: (سنجعل) للدَّلالة على ثبات هذا الوصف[4]، وأدخل اللّام المزحلَقة على خبر (إنّ) الدّالَّةِ على التَّأكيد؛ لأنَّ المعنى مؤكَّدُ الوقوع محقَّق المجيء.

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 143.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 258.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 205.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 14.

نكتةُ تكرارِ ﴿مَا﴾، وفائدةُ إعادةِ القيد ﴿عَلَيْهَا﴾:

ما جُعِلَ زينةً، واغترَّ به الأنامُ يُجعَلُ ترابًا وفناءً

كرَّرَ النَّظمُ الجليلُ التَّركيبَ: ﴿مَا عَلَيْهَا﴾ بعد أن قال في الآية السّابقة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ تلك الزّينةَ التي جُعلت على الأرض، ستكونُ ترابًا أجرد، لا يصعب علينا شيء منه[1]، فالتَّكرار يشير إلى كمال القدرةِ على الإيجاد والإفناء، فما أوجدَ على الأرض سيُحوِّله إلى تراب، ويُعيده إلى أصله.

إيثارُ لفظ ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾:

ما يسرُّ العيون بزينته سيؤول إلى أرض مستوية قاحلة

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالصَّعيد الجرز في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾؛ للدَّلالة على فناء الحياة، تكميلًا للاعتبار ببيان فناء تلك الزّينة، أي: سنجعلُ ما على الأرض معدومًا فانيًا، فلا يكون على الأرض غيرُ الصَّعيدِ الجرز، وهو التُّراب الجافُّ الأجرد، فلا تصلح الحياة فوقه، وذلك هو فناء العالم[2]، فالتَّعبير بالصَّعيد الجرُزِ دون التُّراب؛ لأنَّ التُّراب حاصل في الأرض في كلِّ الأحوال، أمّا إزالة الزّينة؛ فهي كائنةٌ على سطح الأرض، وبإزالتها يكون وجه الأرض صعيدًا جافًّا أجرد، أي: "مثل أرض بيضاء لا نبات فيها، بعد أن كانت خضراء مُعشبة، في إزالة بهجته، وإماطة حُسنه، وإبطال ما به كان زينة: من إماتة الحيوان، وتجفيف النبات والأشجار، ونحو ذلك ذكر مِنَ الآيات الكليَّة تزيين الأرض ممّا خلق فوقها مِنَ الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كلِّه كأن لم يكن[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 14.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 258.
(3) الزمخشري، الكشاف: 2/ 704.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصعيدُ والتُّرابُ:

الصَّعيدُ أخصُّ مِنَ التُّراب في دلالته

الصَّعيد: وجْهُ الأَرْضِ، والمَكانُ عَلَيْهِ تُرابٌ أَوْ لَم يَكُنْ[1]، والصَّعيدُ يُقال لوجه الأرض، وللغبار الذي يَصْعَدُ من الصُّعودِ، ولهذا لا بدَّ للمتيمِّم أن يَعْلَقَ بيده غبارٌ قال: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النِّساء: 43][2].

التراب: (ترب) التَّاءُ والرَّاءُ والباءُ أَصْلانِ: أَحَدُهُما التُّرابُ وما يُشْتَقُّ مِنْهُ، والآخَرُ تَساوي الشَّيْئَيْنِ[3]، يقول الأصفهانيُّ: "تَرِبَ: افتقر، كأنَّه لصقَ بالتراب، قال تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: 16]، أي: ذا لصوقٍ بالتراب لفقرهِ، وأَتْرَبَ: استغنى، كأنَّهُ صار له المال بقدر التراب[4].

وقد عبَّر الذِّكر الحكيمُ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ بلفظ الصَّعيد دون التُّراب؛ لأنَّ موطنَ زينة الأرضِ هو وجهُها وسطحُها، لا مطلق التُّرابِ المعروف.

الجُرُز والزَّلَق:

الجُرُزُ أرضٌ يبست فلا تُنبت، والزَّلَقُ أرض أُزيل نباتُها

وُصفَ الصَّعيدُ في سورة الكهف بالجرُزِ وبالزَّلق، أمّا الزَّلقُ؛ فمن (زلق)، وهو أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَزَلُّجِ الشَّيءِ عَن مَقامِه، والمَزْلَقَةُ والمَزْلَقُ: المَوْضِعُ لا يُثْبَتُ عَلَيْه، والزَّلَقُ: العَجَزُ مِن كُلِّ دابَّةٍ، وسُمِّيَتْ بذلكَ؛ لأنَّ اليَدَ تَزلَقُ عَنها، وكذلكَ ما يُصيبُها مِن مَطَرٍ ونَدًى[5]، وأَرض مَزلقة: لا يَثْبُتُ عَلَيها قَدَمٌ، وكَذَلِكَ الزَّلّاقة، ومِنهُ قولهُ تعالى: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾ [الكهف: 40]، أَي: أَرْضًا مَلْساء لا نَباتَ فيها أو مَلساءَ لَيسَ بِها شَيءٌ[6]، فقوله تعالى ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صعد).
(2) الرّاغب، المفردات: (صعد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ترب).
(4) الرّاغب، المفردات: (ترب).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زلق).
(6) ابن منظور، اللسان: (زلق).

ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقٗا ﴿٤٠﴾ [الكهف: 40]، إنَّما أُزلق النَّباتُ عنها بسبب ذلك الحُسبانِ، وأمّا الجُرُزُ؛ فيقال: أرضٌ جُرُزٌ: لا نبات بها، كأنِ انقطعَ عنها، أو انقطع عنها المطرُ[1]، فالصّعيد الجُرُزُ: ما كان بلا نبات بسبب انقطاعِ المطر، والصَّعيد الزَّلقُ: ما أُزيل عنه النَّباتُ بسبب الحُسبان منَ السَّماء.

(1) الجوهري، الصحاح: (جرز).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»